من أسماء القيامة في القرآن

موجز في تفسير سورة «القارعة»

إعداد: سليمان بيضون

* السورة الواحدة بعد المائة في ترتيب سوَر المُصحف الشريف، نزلت بعد «قريش».
* سُمّيت بـ«القارعة» لابتدائها بقوله تعالى بعد البسملة: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ① مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.
* آياتها إحدى عشرة، وهي مكّية، وجاء في الحديث النبويّ الشريف: «من قرأها ثقّل الله بها ميزانه يوم القيامة».

إنّ قسماً مهمّاً من معارف القرآن ومسائله العقائدية يدور حول محور القيامة والبعث، لأنّ له تأثيراً محوريّاً في تربية الإنسان وتكامل سلوكه، ولهذا اليوم العظيم أسماء كثيرة في القرآن، وكل منها تبيّن بعداً من أبعاده. فقد ذكر أكثر من مئة اسم ليوم القيامة يمكن الاستفادة منها أو من أكثرها في القرآن المجيد، كيوم الحسرة، يوم الحساب، يوم المسألة، يوم الواقعة، يوم القارعة، يوم الراجفة، يوم الرادفة، يوم التلاق، يوم الفراق، يوم التناد، يوم العذاب، يوم الفرار، يوم الحقّ، يوم الحُكم، يوم الفصل، يوم الجمع، يوم الدين، يوم تبلى السرائر، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً، يوم يفرّ المرء من أخيه، يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم التغابن..

محتوى السورة

تتناول هذه السورة بشكل عام، المعاد، ومقدّماته، بتعابير حادّة، وبيان مؤثّر، وإنذار صريح وواضح، حيث تصنّف الناس يوم القيامة، إلى صنفين أو جماعتين: الجماعة التي تكون أعمالها ثقيلة في ميزان العدل الإلهي، فتحظى جزاء بذلك، حياة راضية سعيدة في جوار الرحمة الإلهية، وجماعة أعمالها خفيفة الوزن، فتعيش في نار جهنم الحارة المحرقة.

فضيلة تلاوتها

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «من قرأها ثقّل الله بها ميزانه يوم القيامة».
* عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «من قرأ القارعة آمنه الله من فتنة الدجّال أن يؤمن به، ومن قيح جهنم يوم القيامة إن شاء الله».

قال المفسّرون

«تفسير الميزان»:

* قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ① مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ الآيتان:١-٢.

مبتدأ وخبر، والقارعة من القرع وهو الضرب باعتماد شديد، وهي من أسماء القيامة في القرآن. قيل: سمّيت بها لأنّها تقرع القلوب بالفزع وتقرع أعداء الله بالعذاب.

والسؤال عن حقيقة القارعة في قوله: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ مع كونها معلومة إشارة إلى تعظيم أمرها وتفخيمه وأنّها لا تُكتَنه علماً، وقد اكّد هذا التعظيم والتفخيم بقوله بعد: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

* قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ الآية:٤.

ظرف متعلّق بفعل مقدّر نحو «أذكر» و«تقرع» و«تأتي»، والفَراش على ما نقل عن الفرّاء الجراد الذي ينفرش ويركب بعضه بعضاً وهو غوغاء الجراد. قيل: شُبّه الناس عند البعث بالفراش لأنّ الفراش إذا ثار لم يتجه إلى جهة واحدة كسائر الطير، وكذلك الناس إذا خرجوا من قبورهم أحاط بهم الفزع فتوجّهوا جهات شتّى أو توجّهوا إلى منازلهم المختلفة سعادة وشقاء. والمبثوث من البثّ وهو التفريق.

* قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ الآية:٥.

العهن الصوف ذو ألوان مختلفة، والمنفوش من النفش وهو نشر الصوف بندف ونحوه، فالعهن المنفوش الصوف المنتشر

ذو ألوان مختلفة إشارة إلى تلاشي الجبال على اختلاف ألوانها بزلزلة الساعة.

* قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ الآيتان:٦-٧.

إشارة إلى وزن الأعمال وأنّ الأعمال منها ما هو ثقيل في الميزان وهو ما له قدْر ومنزلة عند الله وهو الإيمان وأنواع الطاعات، ومنها ما ليس كذلك وهو الكفر وأنواع المعاصي، ويختلف القسمان أثراً فيستتبع الثقيل السعادة ويستتبع الخفيف الشقاء، وقوله: ﴿فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ العيشة بكسر العين كالجِلسة بناء نوع، وتوصيفها براضية - والراضي صاحبها - من المجاز العقلي، أو المعنى: في عيشة ذات رضى.

* قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ الآيتان:٦-٧.

الظاهر أنّ المراد ب«هاوية» جهنم، وتسميتها بهاوية لِهويّ من أُلقي فيها أي سقوطه إلى أسفل سافلين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟..﴾ التين:٥-٦. فتوصيف النار بالهاوية مجاز عقلي كتوصيف العيشة بالراضية، وعُدّت هاوية أمّاً للداخل فيها لكونها مأواه ومرجعه الذي يرجع إليه كما يرجع الولد إلى أمّه.

* قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ الآية:١٠.

ضمير «هي» لهاوية، والهاء في «هيه» للوقف، والجملة تفسير تفيد تعظيم أمر النار وتفخيمه.

* قوله تعالى: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ الآية:١١.

أي حارّة شديدة الحرارة، وهو جواب الاستفهام في ﴿مَا هِيَهْ﴾ وتفسير ل﴿هَاوِيَةٌ﴾.

الميزان هو العدل

* «سئل الإمام الصادق عليه السلام: أوليس توزن الأعمال؟ قال: **لا، لأنّ الأعمال ليست أجساماً وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء مَن جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها وخفّتها، وإنّ الله لا يخفى عليه شيء**، قال السائل: فما معنى الميزان؟ قال عليه السلام: **العدل**. قال: فما معنى في كتابه ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾؟ قال: **فمن رجح عملُه**».

* عنه عليه السلام: «**إنّ الخير ثقُل على أهل الدنيا على قدر ثقله في موازينهم يوم القيامة، وإنّ الشرّ خفّ على أهل الدنيا على قدر خفّته في موازينهم يوم القيامة**».

ما يثقّل الميزان

* عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في فضل «لا إله إلا الله»: «**لا يقبل الله الأعمال إلّا بها، وهي كلمة التقوى، يثقّل الله بها الموازين يوم القيامة**».

* عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: «**وأشهدُ أنْ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُه ورسولُه، شهادتان ترفعان القول وتضاعفان العمل، خفّ ميزانٌ ترفعان منه، وثقل ميزانٌ توضعان فيه**».

* عنه عليه السلام: «**..الحسنات ثقل الميزان والسيئات خفّة الميزان**».

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «**ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمّد وآل محمّد «..» وإنّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فيميل به فيخرج الصلاة فيضعها في ميزانه فيرجح**».

* عنه عليه السلام: «**من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه**».

عطيّة من الله تعالى بلا عوض

معنى الرزق في القرآن

العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله

«الرزق» واحد من المفاهيم التي اعتنى القرآن الكريم ببيانها في عدّة من آياته، لما له من صلة وثيقة بالعقيدة والسلوك. وفيما يرتبط بـ«ماهيّة» الرزق وتقدير الله تعالى له، فقد أفاض في بيان ذلك العلّامة الطباطبائي في الجزء الثالث من موسوعة «تفسير الميزان» عند تفسيره للآيتين ٢٦ و٢٧ من سورة آل عمران، عند ذيل الآية الثانية منهما، وهي قوله تعالى: ﴿..وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الرزق معروف، والذي يتحصّل من موارد استعماله أنّ فيه شوباً من معنى العطاء، كرزق الملك الجنديّ، ويقال لما قرّره الملك لجنديّه ممّا يؤتاه جملةً رزقَه، وكان يختصّ بما يتغذّى به لا غير، كما قال تعالى: ﴿..وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ ..﴾ البقرة:٢٣٣، فلم يُعِدَّ الكِسوة رزقاً.

ثمّ تُوسّع في معناه فعُدّ كلّ ما يصل الإنسانَ من الغذاء رزقاً كأنّه عطيّة بحسب الحظّ والجدّ وإن لم يُعلم معطيه، ثمّ عُمّم فسمّي كلّ ما يصل إلى الشيء ممّا ينتفع به رزقاً وإن لم يكن غذاءًا، كسائر مزايا الحياة؛ من مال، وجاه، وعشيرة، وأعضاد، وجمال، وعلم، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ المؤمنون:٧٢، وقال فيما يحكي عن شعيب: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ..﴾ هود:٨٨، والمراد به النبوّة، والعلم، إلى غير ذلك من الآيات.

هو الرازق لا غير

والمتحصّل من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ الذاريات:٥٨، والمقام مقام الحصر: أوّلاً: أنّ الرزق بحسب الحقيقة لا ينتسب إلّا إليه، فما يُنسب إلى غيره تعالى من الرزق كما يصدّقه أمثال قوله تعالى: ﴿..وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ الجمعة:١١، حيث أثبت رازقين، وعدّه تعالى خيرهم، وقوله: ﴿..وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ ..﴾ النساء:٥، كلّ ذلك من قبيل النسبة بالغير، كما أنّ الملك والعزة لله تعالى لذاته، ولغيره بإعطائه وإذنه، فهو الرزاق لا غير.

وثانياً: أنّ ما ينتفع به الخلق في وجودهم ممّا ينالونه من خير فهو رزْقهم والله رازقه، ويدلّ على ذلك مضافاً إلى آيات الرزق على كثرتها آياتٌ كثيرة أُخر، كالآيات الدالّة على أنّ الخلق، والأمر، والحكم، والملك [بكسر الميم]، والمشيّة، والتدبير، والخير لله محضاً عزّ سلطانه.

وثالثاً: أنّ ما ينتفع به الإنسان انتفاعاً محرّماً لكونه سبباً للمعصية لا يُنسب إليه تعالى، لأنه تعالى نفى نسبة المعصية إلى نفسه من جهة التشريع، قال تعالى: ﴿..قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف:٢٨، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ..﴾ النحل:٩٠، وحاشاه سبحانه أن ينهى عن شيءٍ ثمّ يأمر به، أو ينهى عنه ثم يحصر رزقه فيه.

ولا منافاة بين عدم كون نفع محرّم رزقاً بحسب التشريع وكونه رزقاً بحسب التكوين، إذ لا تكليف في التكوين حتّى يستتبع ذلك قبحاً، وما بيّنه القرآن من عموم الرزق إنّما هو بحسب حال التكوين، وليس البيان الإلهي

ما يَنتفعُ به الإنسان انتفاعاً محرّماً لكونه سبباً للمعصية لا يُنسب إليه تعالى، لأنّه تعالى نفى نسبة المعصية إلى نفسه من جهة التشريع

بموقوف على الأفهام الساذجة العاميّة حتى يضرب صفحاً عن التعرّض للمعارف الحقيقية، وفي القرآن شفاء لجميع القلوب لا يستضرّ به إلّا الخاسرون، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ الإسراء:٨٢.

على أنّ الآيات تَنسب المُلك الذي لأمثال نمرود وفرعون، والأموال والزخارف التي بيد أمثال قارون إلى إيتاء الله سبحانه، فليس إلّا أنّ ذلك كلّه بإذن الله آتاهم ذلك امتحاناً، وإتماماً للحجّة، وخذلاناً واستدراجاً ونحو ذلك، وهذا كلّه نِسَبٌ تشريعية، وإذا صحّت النسبة التشريعية من غير محذور لزوم القبح فصحّة النسبة التكوينية التي لا مجال للحسن والقبح العُقلائيّين فيها أوضح.

ورزق ربّك خير

ثمّ إنّه تعالى ذكَر أنّ كلّ شيء هو مخلوق له منزّل من عنده، من خزائن رحمته، كما قال: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ الحجر:٢١، وذكر أيضاً أنّ ما عنده فهو خير، قال تعالى: ﴿..وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ..﴾ القصص:٦٠، وانضمام الآيتين وما في معناهما من الآيات يعطي أنّ كلّ ما يناله شيء في العالم ويتلبّس به مدى وجوده فهو من الله سبحانه وهو خير له ينتفع به ويتنعم بسببه، كما يفيده أيضاً قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ..﴾ ألم السجدة:٧، مع قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ..﴾ المؤمن:٦٢.

وأمّا كون بعض ما ينال الأشياءَ من المواهب الإلهية شرّاً يُستضرّ به فإنّما شرّيته وإضراره نسبيّ، متحقّق بالنسبة إلى ما يصيبه خاصّة، مع كونه خيراً نافعاً بالنسبة إلى آخرين، وبالنسبة إلى علله وأسبابه في نظام الكون، يشير إليه قوله تعالى: ﴿..وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ..﴾ النساء:٧٩.

وبالجملة، جميع ما يُفيضه الله على خلقه من الخير -وكلّه خير ينتفع به- يكون رزقاً بحسب انطباق المعنى، إذ ليس الرزق إلّا العطية التي ينتفع بها الشيء المرزوق، وربّما أشار إليه قوله تعالى: ﴿..وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ..﴾ طه:١٣١.

ومن هنا يظهر أنّ الرزق، والخير، والخلق، بحسب المصداق على ما يبيّنه القرآن أمورٌ متساوية، فكلّ رزق خير ومخلوق، وكلّ خلق رزق وخير، وإنّما الفرق أنّ الرزق يحتاج إلى فرض مرزوق يرتزق به، فالغذاء رزق للقوة الغاذية لاحتياجها إليه، والغاذية رزق للواحد من الإنسان لاحتياجه إليها، والواحد من الإنسان رزق لوالديه لانتفاعهما به، وكذا وجود الإنسان خير للإنسان بفرضه عارياً عن هذه النعمة الإلهية، قال تعالى: ﴿..ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ..﴾ طه:٥٠.

والخير يحتاج إلى فرض محتاج طالب يختار من بين ما يواجهه ما هو مطلوبه، فالغذاء خير للقوّة الغاذية بفرضها محتاجة إليه، طالبة له، تنتخبه وتختاره إذا أصابته، والقوّة الغاذية خير

للإنسان، ووجود الإنسان خير له بفرضه محتاجاً طالباً، وأمّا الخلق والإيجاد فلا يحتاج من حيث تحقّق معناه إلى شيء ثابت أو مفروض، فالغذاء مثلاً مخلوق موجَد في نفسه، وكذا القوّة الغاذية مخلوقة، والإنسان مخلوق .

ولمّا كان كلّ رزق لله، وكلّ خير لله محضاً، فما يعطيه تعالى من عطيّة، وما أفاضه من خير، وما يرزقه من رزق، فهو واقع من غير عِوض، وبلا شيء مأخوذ في مقابله، إذ كلّ ما فرضنا من شيء فهو له تعالى حقّاً، ولا استحقاق هناك، إذ لا حقّ لأحد عليه تعالى إلّا ما جعل هو على نفسه من الحقّ كما جعله في مورد الرزق، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا..﴾ هود:٦، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ الذاريات:٢٣.

العطيّة الإلهية بالخير

فالرزق مع كونه حقّاً على الله لكونه حقاً مجعولاً من قِبله عطيّةٌ منه من غير استحقاق للمرزوق من جهة نفسه، بل من جهة ما جعله على نفسه من الحقّ. ومن هنا يظهر أنّ للإنسان المرتزق بالمحرّمات رزقاً مقدّراً من الحلال بنظر التشريع، فإنّ ساحته تعالى منزّهة من أن يجعل رزق إنسان حقّاً ثابتاً على نفسه، ثم يرزقه من وجه الحرام، ثم ينهاه عن التصرّف فيه، ويعاقبه عليه .

كذلك الرزق منه ما هو رزق عامّ، وهو العطية الإلهية العامّة المُمِدَّة لكلّ موجود في بقاء وجوده، ومنه ما هو رزق خاصّ، وهو الواقع في مجرى الحلّ.

وكما أنّ الرحمة العامّة والرزق العامّ مكتوبان مقدّران، قال تعالى: ﴿..وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ الفرقان:٢، كذلك الرحمة الخاصّة والرزق الخاصّ مكتوبان مقدّران، وكما أنّ الهدى وهو رحمة خاصّة مكتوب مقدّر تقديراً تشريعياً لكلّ إنسان مؤمناً كان أو كافراً، ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ الذاريات:٥٦-٥٨، وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ..﴾ الإسراء: ٢٣، فالعبادة، وهي تستلزم الهدى وتتوقّف عليه، مقضيّةٌ، مقدّرة تشريعاً. كذلك الرزق الخاصّ الذي هو عن مجرى الحلّ مقضيّ مقدّر، قال تعالى: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ الأنعام:١٤٠، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌ..﴾ النحل:٧١، والآيتان كما ترى ذواتا إطلاق قطعيّ يشمل الكافر والمؤمن، ومن يرتزق بالحلال، ومن يرتزق بالحرام .

للإنسان المرتزق بالمحرّمات رزقاً مقدّراً من الحلال بنظر التشريع